جامعة الإمارات العربية المتحدة
وحدة المتطلبات الجامعية العامة
برنامج اللغة العربية

نحو معايير الكفاءة اللّغويّة

ودورها في تقويم مخرجات تعليم اللّغة العربيّة

العيـــــن
العام الجامعي ١٩٩٨ / ١٩٩٩م

المحتويات

الموضوع	الصفحة
• تقديم	أ
• حدود الكفاءة اللغوية للطالب المتخرج في برامج تعليم اللغة العربية في المستوى الجامعي (رؤية لغوية) د. ندا الحسيني نـــدا	١
• حدود الكفاءة اللغوية للطالب المتخرج في برامج تعليم اللغة العربية في المستوى الجامعي (رؤية تربوية) . د. محمد محمود موسى / د. عثمان عبد الرحمن جبريل .	٢٣
• صياغة نموذج مقترح لمعيار الكفاءة اللغوية في اللغة العربية يطبق على خريجي برامج اللغة العربية في المستوى الجامعي . أ.د. أحمد سيد محمد إبراهيم .	٥٩
• تصميم محتوى مساقات اللغة العربية بالبرنامج في ضوء الكفايات اللغوية المستهدفة . د. عمـــر مسلـــم العكش .	٦٧
• استراتيجيات القياس والتقويم في برنـــامج اللغة العربيـــة بوحـــدة المتطلبات الجامعية العامة . د. أحمد محمود الخليل	١٠٧
• تقويم القدرات اللغوية لدى الطلبة في المستوى الجامعي وآثاره في تطوير مناهج مساقات اللغة العربية . د.عبـــد الله السعـــدي .	١٢٧
• المستوى اللغوي وحدود الكفاية اللغوية لمخرجـــات التعليم العـــام أ. سلمان علي أبو عبيدة	١٥٧
• رؤيـــة تربويـــة لاختبـــارات الكفـــاءة اللغويـــة للملتحقيـــن بجامعة الإمارات العربية المتحدة . د. محمد رجب فضل الله .	١٧٧
• الكفـــــاءة اللغويـــة وعلاقتـــها بالقـــرآن الكريـــم . أ. محمد نور الدين المنجد .	٢٦٢
• توصيات الندوة .	٢٨٢
• خطابات شكر	٢٨٧
• الجهات والهيئات المشاركة في الندوة .	٢٩١

٩

الكفاءة اللغوية
وعلاقتها بالقرآن الكريم

إعـــداد

أ. محمد نور الدين المنجد

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشارقة

١٩٩٩م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السلام علي سيد المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن ما سأقوله ليس بجديد، وإنما هو متجدد،ولكننا عنه غافلون أو متغافلون، وبعض مناهجنا الدراسية ولت عنه مدبرة،واتخذته ظهريا، ألا وهو ما بين العربية و القرآن الكريم من عروة وثقى. لا انفصام لها، ذكرها الله تعالي بقوله:(إنَا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) "١" وقد تكفل الله بحفظهما جميعاً بقوله تعالي:(إنَا نحن نزلنا الذكر وإنَا له لحافظون)"٢"، فقد استبدلت بعض المناهج الدراسية بأسلوب القرآن الكريم أساليب العصر، وبروائع البيان لغة الجرائد، وقد سمعنا وقرأنا أن من أبناء جلدتنا ممن غلبت عليهم عجمتهم يعبرون بفصحاهم العصرية عن الشرطة بالبوليس،وعن الحافلة بالأتوبيس، ولايرون بأساً في استخدامها، بل في إقحامها في مناهج التدريس، وزاد الطين بلة المناهج الأجنبية التي مافتئت تفتن عقول أبنائنا وألسنتهم حتى غدت عليهم مسيطرة فتحت عنوان: (طلاب المناهج الأجنبية يتحسرون علي لغتهم العربية) تقول إحدى الطالبات في جريدة الخليج : (المناهج الأجنبية جعلتنا نتخلي عن أعز رموزنا لغتنا الأم ــ العربية حتى إننا نتكلم في البيت بالإنجليزية إنهم أنسونا لغتنا وأجروا الإنجليزية في عروقنا) "٣"، وتقول طالبة أخرى:

(إن الاستعمار الأجنبي مستمر ولكنه انتقل من الأرض إلى عقولنا، فسيطر على الإعلام والمناهج والثقافة،وأقنعونا أننا لا نستطيع العيش بدون الغرب ولغتهم)."٤"

وبعدت الشقة بين أبنائنا وعربيتهم حتى إن بعضهم لاتستقيم له عبارة فصيحة، ولا جملة صحيحة، يخبط بين العامي والفصيح والدخيل خبطاً يثير الضحك المرير، والحزن العميق، وقد أسهم المجتمع في اتساع الخرق بين اللغة وأبنائها حيث غلب على أمره فسلك الطريق التي بيناها ابن خلدون في مقدمته من تقليد الضعيف للقوي،والصغير للكبير، والمغلوب للغالب،فأخذ المجتمع ينظر للمتحدث بالأعجمية نظرة تحضر وتوقير،وبقدر ما يُتقن منها يستحق الاحترام والتقدير؛ مما جعل الطلبة الضعاف منهم يتفاخرون ببعض الألفاظ الأجنبية التي صارت لديهم معيار التقدم والحضارة،فأين منتصف الفصل ونهايته من (الميدتيرم والفاينل) ؟ شتان شتان بين هذه وتلك، تقول إحدى طالبات المناهج الأجنبية متحسرة على ما آلت إليه العربية بالقياس إلى مكانة اللغات الأخرى لدى أصحابها (لقد زرنا عدداً من الدول الأجنبية فوجدنا اعتزازهم بلغتهم كبيراً، إذ يرفضون الحديث باللغة الإنجليزية مع إتقانهم لها)"٥".

هذا هو الوجه المظلم من واقعنا اللغوي، ولكن الأمل ما يزال كبيراً إذا ما تأملنا الوجه الآخر،وإذا ما أردنا فعلاً الارتقاء بمستوى كفاءة أبنائنا في المهارات اللغوية المختلفة إلى حد يثير الدهشة، إنه القرآن الكريم الذي قال الله تعالى في حقه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)"٦"، هل من مدكر؟

إنه القرآن الكريم الذي يعاتبنا الرسول صلى الله عليه وسلم على إهماله يوم القيامة فيقول: (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) "٧"، نعم لقد عاد هجر القرآن على المسلمين بالضعف

والتخاذل أمام الأمم، بعد أن اكتسبوا بوصلة العزة والمنعة، وما يزال عزاً لمن يصله،وما حدث جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عنا ببعيد، تلك الجائزة التي تسابق إليها سبعون متسابقاً من مختلف بلدان العالم، ومن بين هؤلاء المتسابقين جمع من الشباب لا يتحدثون اللغة العربية، ولكنهم يتقنون حفظ القرآن الكريم وتلاوته بالعربية بطلاقة، وحول كيفية تعلمهم حفظ القرآن الكريم على الرغم من عدم نطقهم بالعربية يقول فاتح باش ألما من تركيا وعمره أربعة عشر عاماً إنه حفظ القرآن الكريم من خلال المدرسة وخلال أحد عشر شهراً فقط،مشيراً إلى أنه من البداية تعلم الحروف العربية ثم بدأ يحفظ القرآن الكريم الذي يشتمل على هذه الحروف"٨".

ولقد رأيت مصداق قوله تعالى (ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)"٩" حين سمعت طلابا أجانب في الجامع الأموي بدمشق يتحدثون الفصحى بما تطرب له الأسماع،ويقرؤون القرآن على شيخهم بالقراءات المختلفة بطلاقة تشنف الآذان وتأخذ بالألباب.

نعم هذا هو الواقع بوجهيه، طالب عربي جامعي لا يكاد يقيم حروف لغته،وإذا أراد أن يقرأ آية من القرآن قال : إلهكم التكاثر بدلاً من قوله تعالى : (ألهاكم التكاثر)"١٠"، أما عن نطق أسماء السور، فحدّث ولا حرج،وما ذاك إلا لأنه اتخذ هذا القرآن مهجوراً، وطالب أجنبي دون سن الجامعة يفتن الأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب حين يتحدث بالفصحى ويرتل القرآن؛ لأنه اتخذه إماماً وهادياً.

أردت بذكر هذين الوجهين لواقعنا اللغوي الإشارة إلى الطريق التي ينبغي أن نسلكها إذا ما أردنا النهوض بمستوى الكفاءة

اللغوية لأبنائنا من الطلاب والطالبات، إنه العودة إلى تعليم القـــرآن الكريم وترتيله وتحفيظ أجزاء منه في التعليم المدرســـي والجـــامعي على حد سواء،والاستفادة من تجارب المعاهد الشرعية وأساليبها فـــي تعليم القرآن وتلاوته للعرب ولغير الناطقين بالعربية،داخـــل الدولـــة وخارجها.

وجامعة الإمارات العربية المتحدة تنصّ لوائحها التأسيسية علـــى أنها جامعة عربية إسلامية وقد شرّفت حيناً من الدهر بعقـــد دورات فيها لتعليم الطالبات تجويد القرآن الكريم، أسفرت عـــن نخبـــة مـــن الطالبات اللواتي كان أداؤهن جيداً في المهارات اللغوية المختلفة، مما يؤكد حتمية اللّحمة بين الأداء اللغـــوي عمومـــاً والقـــرآن الكريـــم خصوصاً.

ولكن إذا أردنا مزيداً من التقسيم و التفصيل في حدود الكفـــاءة اللغوية وعلاقتها بالقرآن الكريم، فعلينا أولاً أن نتبّين معنى الكفـــاءة لغة واصطلاحاً، ثم ربطها بالأداء القرآني.

أولاً معنى الكفاءة:

أ-الكفاءة في اللغة : ورد في المعجم الوسيط قوله: (الكفاءة : المماثلة في القوة والشرف،ومنه الكفاءة في الزواج : أن يكون الرجل مساوياً للمرأة في حسبها ودينها،وغير ذلك،والكفاءة للعمل : القدرة عليه وحسن تصريفه)"١١".

ب-الكفاءة في المصطلح : يقول الدكتور أحمد إسماعيل حجي : (تعرّف الكفاءة بأنها نسبة العمل النافع الناتج إلى الطاقة التي أنتجته،وهي نسبة المخرجات إلى المدخلات،... والكفاءة هي القدرة على إنتاج أو تحقيق تأثيرات مطلوبة بأقل جهد ونفقة وهدر)"١٢".

ثانياً-أنواع الكفاءة "١٣" :

تقسيم الكفاءة من حيث النوع إلى قسمين رئيسيين،هما الكفاءة الداخلية والكفاءة الخارجية.

١-الكفاءة الداخلية : وتتمثل في تحقيق النظام التعليمي لأهدافه داخلياً،أي في العملية التعليمية نفسها،وهي العلاقة بين مخرجاته و مدخلاته ،وتتفرع هذه الكفاءة الداخلية إلى فروع ثلاثة،هي :

أ- الكفاءة الداخلية الكمية : ويقصد بها قدرة النظام التعليمي على إنتاج أكبر عدد ممكن من المتخرجين بالنسبة لعدد الداخلين فيه.

ب- الكفاءة الداخلية النوعية : ويقصد بها نوعية الطالب الـــذي يخرجّـــه النظام التعليمي، ومدى انطباق هذه النوعية (من مخرجات أو منتج نـــهائي) على ما وضع لها من مواصفات مستهدفة عند التخرج.

ج الكفاءة المرتبطة بالكلفة، أو ما يعرف بالتكلفة / الفعّالة.

٢ ــ الكفاءة الخارجية : وتتمثل في قدرة النظام أو البرنامج التعليمي على تحقيق الأهداف التي ينشدها المجتمع منه، ليكون فاعلاً فيه.

وتحسن الإشارة هنا إلى أطروحة دكتوراه للباحث أحمد نـــاصر النعيمي نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شـــمس عـــام ١٩٨٩م، بعنوان (الكفاية الداخلية لنظام التعليم بجامعـــة الإمـــارات)، تمثلـــت مشكلة الدراسة في غيبة الأداة (أساليب التقويم) التي تقـــوم بعمليـــة الرقابة على وجود (مدخلات الجامعة ومخرجتها)، تلـــك الأداة تـــدل على الكفاءة الداخلية لنظام التعليم فيها.

ثالثاً المهارات اللغوية في ظل القرآن الكريم :

لا ريب أن معالم الكفاءة اللغوية التي تسعى إليها مناهج اللغة العربية في المراحل المختلفة مدرسية كانت أم جامعيـــة تقســـم إلـــى أربعة أنواع من المهارات،في الاستماع،في التحدث،وأخصّ حديثـــي بالنوعين الأولين،ومدى صلت كل منهما بالقرآن الكريم.

١- الكفاءة في مهارات القراءة :

لعل أبرز ما يلقاه الطالب صعوبة في أي اختبار شفهي أن يقال له اقرأ؛لما في القراءة الجهرية من مهارات كثيرة تكشف عن حقيقة مستواه اللغوي، ومدى تمكنه من ناحية النطق، والضبط، والفهم، والإفهام.

وتلك حقيقة لا تخفى على أحد، ومن هنا تبرز أهمية الاختبارات الشفهية في تقويم الطلبة في المستويات المختلفة،فالقراءة الجهرية معيار يكشف آلية نطق الحروف وتحقيقها بصفتها ومن مخارجها الصحيحة، ويكشف قدرة الطالب على ضبط الكلمات ضبطاً صرفياً ونحوياً،ومعيار يدلّ على استيعاب النص وفهمه،وبالتالي تقسيمه إلى وحدات فكرية يعبّر عنها بتغيير نبرة الصوت بما يلائم المعنى كوسيلة لإيصاله للسامع،فتكون القراءة بذلك دليلاً على فهم القارئ،وقدرته على إفهام السامع بترجمة علامات الترقيم المختلفة من علامات مكتوبة إلى علامات مسموعة كالوقف والابتداء والتعجب والاستفهام وغير ذلك.

وما تلك المهارات القرآنية إلا فروع من أصول القرآن الكريم،فقد اشتق اسمه من القراءة،وأول آية فيه نزلت تحث على القراءة، ومن علومه البارزة علم التجويد الذي هو بالتعريف (علم يعرف به إعطاء كل حرف حقه وصفة... وغايته صون اللسان عن الخطأ في كتاب الله تعالى)"١٤".

وقد بين العلماء صفات الحروف كهمس التاء في قوله تعالى: (إذا السماء انشقت)"١٥"، وصفير الصاد في قوله تعالى :(والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل)"١٦"، وقلقة القاف في قوله تعالى: (والسماء و الطارق * و ما أدراك ما الطارق)"١٧"، وتفشي الشين في قوله تعالى : (ويتجنبها الأشقى)"١٨"، واستطالة الضاد في قوله تعالى: (الله نور السموات

والأرض)"١٩"،وغير ذلك من الصفات التي تتمايز بها حروف العربية بعضها من بعض.

وكذلك بين العلماء مخارج الحروف في جهاز النطق تدرجا من أقصى الحلق حتى الشفتين ولا تنسى أنه منهج الخليل في تبويب معجمه العين ، وضبطوا أيضا طريقة نطق بعض الحروف المتوالية، كالإظهار، والإدغام، والإخفاء، والإقلاب، وتفخيم اللام في مثل قولنا كتاب الله، وترقيقها في عبد الله، ودمجها في حروف سموها شمسية، وإظهارها مع حروف سموها قمرية،وفرقوا بين الهمزة ووصلها، والهمز والمد في مثل أمن وآمن وبينوا نطق الحروف إذا توالت وكانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة في المخارج والصفات، كقوله تعالى في تماثل التاء مع التاء : (فما ربحت تجارتهم)"٢٠"، وقوله تعالى في تجانس الطاء مع التاء :(فآمنت طائفة)(٢١)، وقوله تعالى في تقارب اللام والراء: (بل رفعه)(٢٢)، وغير ذلك مما يطول الحديث به، وليس هذا مقامه.

ومن يتتبع أخطاء الطلبة في نطق الحروف يجدها لا تخرج عن هذا المضمار كترقيق المفخم، وتفخيم المرقق، ونطق اللام الشمسية قمرية أو العكس، والخلط بين همزة القطع والوصل، وإدغام لام الفعل وحقها الإظهار، فيقولون وجعنا بدلا من جعلنا، والوقف بالحركات المختلفة خطأ على آخر الكلمة، وحقها السكون أو الهاء الساكنة في التاء المربوطة، أو الألف في تنوينه نصبا، وغير ذلك من الأخطاء في قراءة الحروف والكلمات التي نراها بوضوح لدى عامة الطلاب، ولا نكاد نجدها عند طالب أتقن قراءة القرآن وتعلم تجويده.

وأما عن كفاءة الطالب في ضبط الكلمات صرفيا فلا شك أن الإكثار من قراءة القرآن الكريم، ومطالبة أبنائنا بحفظ أجزاء منه، تمكنهم من ناصية اللغة العالية التي سرعان ما يقيسون عليها غيرها مما يصادفهم من مفردات اللغة، فتكون لغة القرآن الكريم مهيمنة على حسهم اللغوي إزاء ما سواها من المفردات، وقل مثل ذلك في ضبط الكلمات نحويا حيث ينمو إحساس الطلبة بقدسية المعنى وضرورة التدقيق في الحركات الإعرابية، الدالة على تمايز الفاعل من المفعول مثلا، كقوله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء)(٢٣)، وقوله تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات)(٢٤).

وصحة الضبط النحوي تدل على فهم الطالب للمعنى مما يجعله تلقائيا يقسم النص المقروء إلى مقاطع ووحدات فكرية متكاملة، بحيث يدرك أماكن الوصل والوقف في النص المقروء، سواء أكان قرآنا أم غير ذلك، فلا يقرأ قوله تعالى : (ويل للمصلين)(٢٥)، ويقف قبل أن يتمم المعنى بقوله تعالى : (الذين هم عن صلاتهم ساهون)(٢٦)، وقل مثل ذلك في قوله تعالى : (ولا تقربوا الصلاة)(٢٧)، فلا يقف قبل تمام المعنى بقوله تعالى: (وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)(٢٨).

وقد قسم العلماء الوقف إلى أقسام عديدة أهمها :(٢٩)

١- الوقف التام : وهو الوقف على ما تم معناه، ولم يتعلق بما بعده، لا في اللفظ ولا في المعنى، وأكثر ما يكون عند رؤوس الآي، وانتهاء القصص القرآنية،وأواخر السور، والوقف على ما قبل ياء النداء، وفعل الأمر، ولام القسم، والشرط، وكذلك الفصل بين آية رحمة وآية عذاب، والوقف قبل النفي، والنهي، وعند انتهاء القول.

٢ ــ الوقف الكافي: وهو الوقف على ما تم معناه، وتعلق بما بعده معنى لا لفظا، وهو كثير في الفواصل وغيرها.

٣ ــ الوقف الحسن: وهو الوقف على ما تم معناه، وتعلق بما بعده لفظا ومعنى، كالوقف على (بسم الله)، وعلى (الحمد لله)، ولكن الابتداء بما بعده لا يحسن لتعلقه بما بعده لفظا.

٤- الوقف القبيح: وهو الوقف على ما لا يتم الكلام به، ولا ينقطع عما بعده كالوقوف على المبتدأ دون خبره، أو على الفعل دون فاعله، أو على الناصب دون منصوبه، وأقبح منه الوقف على ما يوهم وصفا لا يليق بذات الله تعالى كأن يقف على (يستحيي) في قوله: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا)(٢٩)، ويلحق بالوقف القبيح ابتداء قبيح، كالوقف على قوله تعالى: (وقالت اليهود)(٣٠)، ثم الابتداء (يد الله مغلولة)(٣٠).

وقد قابل العلماء علامات الترقيم في النصوص النثرية بمصطلحات خاصة بالقرآن الكريم، سموها علامات الوقف، ومصطلحات الضبط، ومنها:

(م): تفيد لزوم الوقف.

(لا): تفيد النهي عن الوقف.

(صلى): تفيد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف.

(قلى): تفيد بأن الوقف أولى مع جواز الوصل.

(ج): تفيد جواز الوقف جوازا مستوى الطرفين.

(∴ ∴): تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما.

ونسمع أحيانا بعض القراء يلون صوته بما يناسب جهة الكلام، فيغير نبرة صوته؛ ليجسد حوارا بين موسى وفرعون على سبيل المثال، فينقل لنا

مشاهد حية من ذلك الحوار التمثيلي من خلال تلوين الصوت، وهذا ما يفتقر إليه كثير من الطلاب، أي القراءة المعبرة عن المعنى، وعن فهم القارئ لما يقرأ، وحسن نقله ما يقرأ لمن يسمع، ومثل ذلك تلوين الصوت في الجمل الاستفهامية والتعجبية وغيرها من أساليب الإنشاء والخبر، وخروجها عن أغراضها المباشرة إلى أغراض أخرى بلاغية، كخروج الاستفهام في قوله تعالى: (أ إله مع الله) من الاستفهام إلى الاستنكار والتعجب، وإعطائه في القراءة ما يناسبه من نبرة صوتية تدل على فحواه.

وعودا على بدء نقول: إذا تدرب الطالب على قراءة القرآن الكريم وحسن تجويده، استطاع أن يلم بكثير من أساسيات فن القراءة التي يأخذ بعضها برقاب بعض، فنراه يقرأ النص مراعيا مخارج الحروف وصفاتها، ضابطا حركاته الصرفية والنحوية، مدركا وحداته الفكرية المتكاملة، فيحسن التعبير عنه بنغمات صوتية تجسد الأفكار للسامع، وتوضح معناها أيما إيضاح.

٢- الكفاءة اللغوية في مهارات الكتابة:

مهارات الكتابة مهارات متعددة، منها مهارات إملائية وخطية، وأخرى فكرية ثم أسلوبية.

أما المهارات الإملائية والخطية، فتلك التي يتعثر فيها الطالب إلى حد كبير فنراه يخبط في قواعد الإملاء والخط خبط عشواء، حتى صار الخطأ شيئا طبيعيا، وتعارف عليه المدرسون بمصطلح "الأخطاء الإملائية الشائعة"، كالخلط بين همزات القطع والوصل، ورسم الهمزات في وسط الكلمات وأواخرها، والتباس التاء المربوطة بالمبسوطة وهاء الضمير، وغير ذلك مما يعرفه كل مدرس.

ولا نستطيع عقد صلة كبيرة بين قواعد الإملاء المتعارف عليها، والرسم الإملائي في القرآن الكريم؛ لما له من خصوصية في الرسم تخوج في بعض جوانبها عن قواعد الإملاء العادي مراعاة للرسم العثماني، وما يتعلق به من قراءات قرآنية، ولكن ذلك لا يعني انقطاع الصلة كليا بين الرسم القرآني والإملاء العادي، وإن كنا نؤثر الإعراض عنها.

أما مهارات الكتابة الفكرية، فتبدأ ببناء الجملة الأساسية في الفقرة، ونسج ما يدعمها من جمل فرعية، كضرب مثل، أو حكاية قصة، أو ذكر أحداث تدعم الفكرة الرئيسية، وتتلاحق الأفكار، كل منها في فقرة، ثم يأتي الختام ليلخص مجموع الأفكار، ويصب في غاية الحديث ومنتهاه.

وما من صورة في القرآن الكريم تخلو من إحكام النسج هذا، لمن تأمل وتدبر، خذ مثلا سورة الأنبياء التي تبدأ بقوله تعالى: "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون" (٣١) جملة افتتاحية رئيسية تبين اقتراب الساعة، وتحذر من الغفلة والإعراض، ثم تتوالى قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما حل بهم نتيجة غفلتهم وإعراضهم، وفي ذلك تحذير وتأكيد على فحوى الفكرة الرئيسية، وهي الاتعاظ وأخذ العبرة، ثم في أواخر السورة حيث الغاية في قوله تعالى: (إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين)(٣٢)، ثم استفهام عن حقيقة موقفهم إزاء ما سمعوا أو علموا، وهل ذكر هذه القصص أيقظهم من غفلتهم فجعلهم يستسلمون لله، بقوله تعالى: (فهل أنتم مسلمون)(٣٣)، ثم القول الفصل بين الفريقين في آخر آية: (قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون)(٣٤)، فكرة رئيسية، ثم أمثلة وقصص داعمة، ثم استفسار عن أثر هذه العرض، ثم تفويض الحكم

لله، تسلسل فكري ومنطقي بديع، نلمح معه ذكر الحساب واقترابه في البداية، ثم الإشارة إلى حتمية الحساب والحكم في النهاية.

وقد تتنوع أساليب الكتابة والخطاب، بين إيجاز وإطناب، ويرصد أول الكلام آخره، خذ مثلا "سورة الكافرون" التي يرصد أولها آخرها على سبيل الإيجاز بقوله تعالى: (قل أيها الكافرون. . . لكم دينكم ولي دين) وبين المطلع والختام تفصيل وتوكيد للفكرة الرئيسية، ومثل ذلك كثير في القرآن الكريم، وهو علم عريض من علوم القرآن الكريم يسمى علم المناسبات أو التناسب في القرآن الكريم.

فإذا استطعنا أن نستنبط مع طلابنا أساليب عرض الأفكار ومناقشتها من خلال تدريس نصوص قرآنية نكون بذلك أكسبناهم مهارات أسلوبية وعقلية عالية يستغنون بها عما سواها.

أضف إلى هذا أن حفظ أجزاء من القرآن الكريم ولإكثار من قراءته يكسب الطالب ثروة لفظية يستعين بها في مجالات الكتابة المختلفة، وإن من يقرأ بعض مؤلفات الأب أنستاس ماري الكرملي - وهو العلم المشهور في فقه اللغة العربية - لا يساوره شك في أنه يكثر من قراءة القرآن، إن لم يكن حفظ أجزاء منه.

وبعد، فهذه بعض الجوانب التي يمكن أن يلمسها المرء في الصلة بين الكفاءة اللغوية في القراءة والكتابة من جهة، والقرآن الكريم من جهة أخرى، وقد أشرنا في بداية حديثنا إشارة سريعة إلى أهمية العودة إلى تعليم القرآن الكريم وتجويده تلافيا لما هو حاصل من انتكاس في لغة أبنائنا من الطلاب والطالبات، ومعلوم أن العملية التعليمية تقوم على ثلاث محاور متفاعلة فيما بينها، هي المنهج والمعلم، وهما الفاعلان غالبا، ثم الطالب

وهو المنفعل غالبا، وإن كان ثمة لوم يلقى في قصور الكفاءة اللغوية، فليكن على المحورين الفاعلين في العملية التعليمية، وهما المنهج والمعلم، وما أرى كفاءة الطالب إلا مرآة لكفاءة هذين المحورين.

أما المناهج ومحتواها فبعضها يعتمد نصوصا مستقلة من المجلات والجرائد اليومية، التي لا أقول تقطعت بها سبل الفصاحة والبلاغة، بل أساليب العربية وتراكيبها وألفاظها، ثم إن بعض المناهج ضربت صفحا عن أهم وسائل تعليم اللغة الشفوية التي يلخصها أهل التربية في "التدريب على المحادثة، والإلقاء في المحفوظات، والأداء في القراءة والقرآن، وطرق تعليم هذه المواد - كما يرونها - ترتكز في معظمها على الحفظ والتحصيل من جهة، وعلى الدربة والمران من جهة أخرى" (٣٥).

وإلى مثل هذا الرأي ذهب أساسا ابن خلدون في مقدمته أثناء حديثه عن طريقة تعليم اللغة، مصورا حال اللغة في زمانه، وهي لا ريب خير من الحال التي وصل إليها أبناؤنا من الهجنة والعجمة، يقول: "اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها، إلا أن اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات، ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكات، ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب... حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم، ولقن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عبارتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من

أساليبهم، وترتيب ألفاظهم، فتحصل له الملكة بهذا الحفظ والاستعمال" (٣٦).

إذا فهذا سبيل تعلم اللغات وإتقان مهاراتها المختلفة، وليس الإعواض عن النصوص اللغوية التي تمثل اللغة المعيارية خير تمثيل، واستبدالها بنصوص هي دون ذلك.

وأغتنم الفرصة هنا لأعرض جانبا مما ورد في دليل جامعة الشارقة بخصوص وصف متطلبين عامين في الجامعة، هما:

أ- مساق اللغة العربية (١): فقد ورد في ذكر محتوى المادة التعليمية ما يلي: "يتضمن أيضا نصا من القرآن الكريم وبعض النصوص الأدبية لغرض التذوق اللغوي والبلاغي" (٣٧).

ب- مساق اللغة العربية (٢): ومما يحتويه أيضا: "دراسة بعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض النصوص الأدبية لغرض التذوق اللغوي والبلاغي" (٣٧).

أما المعلم وهو المحور الأساسي الثاني، الفاعل في العملية التعليمية، فقد بلغ الأمر ببعض المعلمين من ضعف الكفاءة مبلغا عظيما، وأكتفي بالاستشهاد لذلك بما ذكره الدكتور أحمد إسماعيل حجي بقوله: "في تحقيق صحفي بعنوان (هل أصبحت لغتنا الجميلة في خطر - أخطاء إملائية في إجابات طلاب الأقسام المتخصصة) أولى بعض أساتذة كليات اللغة العربية والآداب ودار العلوم بآرائهم التي تتلخص بأن كليات التربية لا تخرج معلمين متمكنين من اللغة العربية بقدر ما تخرج تربويين لا يعرفون عن اللغة إلا قشورا لا تفيد الطالب، حيث إن كليات التربية كما يرى د. سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - قد أنشئت بلا هدف لغوي

سليم، والخريجون فيها يمثلون كارثة على اللغة العربيـــة وتدريســها؛ لأن اهتمامهم التربوي غطى على الجانب اللغوي" (٣٨).

ويرى د. أحمد إسماعيل حجي أن "هناك مشكلات متصلة بمعلم اللغة العربية والتربية الدينية بعامة... وخريجي شعب اللغة العربية والدراســات الإسلامية بكليات التربية منهم بخاصة، بما فيهم خريجو كلية التربية جامعة حلوان، ومعظم هذه المشكلات تتمثل في انخفاض كفاءتهم، وكفاءة كليــات الإعداد الخارجية، تظهر في عدم تمكنهم مــن أساســيات اللغــة العربيــة والدراسات الإسلامية... وظهرت أيضا دراسات متصلة بعدم قدرة عدد من خريجي هذه الشعبة متابعة الدارسة العليا التخصصية في اللغة العربية نظرا لضعف مستواهم في القواعد النحوية والإملائية وغيرها" (٣٩).

وقديما قالوا فاقد الشيء لا يعطيه، والحمد لله رب العالمين.

الهـــوامـــش

(١)سورة يوسف: آية (٢).

(٢) سورة الحجر: آية (٩).

(٣) المعتصم بالله محمد "طلاب المناهج الأجنبية يتحسرون على لغتهم الأم"، شباب الخليج، ع ٧١٢١، الثلاثاء، ١٧ نوفمبر ١٩٩٨، ص٨.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه.

(٦) سورة القمر: آية (١٧).

(٧) سورة الفرقان: آية (٣٠).

(٨) . . . "يحفظون القرآن ولا يتحدثون العربية" جريدة الخليج، ع٧١٦٩، الاثنين ٤ يناير ١٩٩٩م، ص٩.

(٩) سورة القمر: آية (١٧).

(١٠) سورة التكاثر: آية (٣٠).

(١١) المعجم الوسيط: مادة (ك ف ء).

(١٢) د. أحمد إسماعيل حجي: الكفاءة الخارجية لمعلم التعليم الأساسي، دار النهضة العربية ١٩٩٣م، ص ١٧ .

(١٣) انظر السابق نفسه: ١٧-١٨.

(١٤) الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت: هداية الرحمن في تجويد القرآن، مطبوعات مكتبة المهايني، دمشق، ص ٥،٦

(١٥) سورة الانشقاق: آية (١).

(١٦) سورة الطارق: آية (١٢ ، ١٣).

(١٧) سورة الطارق: آية (١ ، ٢).

(١٨) سورة الأعلى: آية (١١).

(١٩) سورة النور: آية (٣٥).

(٢٠) سورة البقرة: آية (١٦).

(٢١) سورة الصف: آية (١٤).

(٢٢) سورة النساء: آية (١٥٨).

(٢٣) سورة فاطر: آية (٢٨).

(٢٤) سورة البقرة: آية (١٢٤).

(٢٥) سورة الماعون: آية (٤).

(٢٦) سورة الماعون: آية (٥).

(٢٧) سورة النساء: آية (٤٣).

(٢٨) انظر فائز عبد القادر شيخ الزور: دروس في ترتيل القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، الشارقة، ط٦، ١٩٩٢م، ص ٩٦ وما بعدها.

(٢٩) سورة البقرة: آية (٢٦).

(٣٠) سورة المائدة: آية (٦٤).

(٣١) سورة البقرة: آية (٢٦).

(٣٠) سورة المائدة: آية (٦٤).

(٣١) سورة الأنبياء: آية (١).

(٣٢) سورة الأنبياء: آية (١٠٦).

(٣٣) سورة الأنبياء: آية (١٠٨).

(٣٤) سورة الأنبياء: آية (١١٢).

(٣٥) محمد الناصف: تأملات في التربية التعليم، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٤، ص١٠٠.

(٣٦) نقلاً عن المرجع السابق: ١٠٢.

(٣٧) دليل جامعة الشارقة: ص٩٢.

(٣٨) د. أحمد إسماعيل حجي: (مرجع سابق)، ص:٣٧-٣٨.

(٣٩) المرجع السابق: ص٤٢.